المحاضرة التاسعة: الحركة الوطنية الجزائرية (التيار الاصلاحي، التيار الاستقلالي، التيارات الأخرى)

شـهدت الجزائر في مطلع القرن العشـرين بدايات نهضـة ثقافية ودينية، كانت تعبيراً عن رفض الجزائريين المطلق للاسـتعمار، وتعلقهم بالهوية الإسـلامية، وتشـبثهم بالأرض، ثم جاءت الحرب العالمية الأولى بانعكاسـاتها الواسـعة، فأكسبت الجزائريين وعياً وخبرة وهيّأت الظرف لبروز قيادات جديدة، وأكسبت هذه التطورات النضال الوطني دفعاً قوياً وزخماً جديدا؛ أفضى إلى ظهور "الحركة الوطنية الجزائرية"

1- مفهوم الحركة الوطنية:

يقصد بالحركة الوطنية الجزائرية مجموع المنظمات السياسية والإصلاحية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى، وعملت على تربية وترقية الشعب والدفاع عن مصالحه، والنضال في سبيل افتكاك حقوقه السليبة.

2-عوامل ظهور الحركة الوطنية:

- الاحتلال العسـكري الفرنسـي؛ وما ترتب عنه من فقدان السـيادة الوطنية، وضـياع كافة الحقوق نتيجة فرض عديد القوانين التعسفية، وانتهاج سياسة البطش والإبادة ضد شعبنا.

- هجرة كثير من الجزائريين إلى الشرق الأدنى وفرنسا؛ أين عايشوا حركات الوعي الديني والقومي، واحتكوا بالممارسة الحزبية؛ ما حثهم على تدشين الكفاح السياسي.

- أحداث العالم الإسـلامي؛ كالحرب الليبية – الإيطالية وكفاح الحزب الوطني بزعامة مصـطفى كامل في مصـر، ثم ثورة 1919 المصـــرية، وثورة الأميرين عبد المالك الجزائري وعبد الكريم الخطابي في المغرب والأحداث العالمية؛ كالثورة البلشفية في روسيا، وانتصار القوميات في أوروبا، ومبادئ الرئيس ويلسون الأربعة عشر (وأهمها حق الشعوب في تقرير مصيرها)، وظهور عصبة الأمم.

- محاولات القضاء على أركان الثقافة الجزائرية وفي مقدمتها الدين الإسلامي بعقائده وشرائعه وأخلاقه، واللغة العربية وآدابها .

- حركة الإصـلاح الديني والجامعة الإسـلامية في الشـرق الإسـلامي بزعامة السـيد جمال الدين الأفغاني وتلاميذه، وكان لها تأثير حاث على الجزائريين

3- الاتجاهات المختلفة للحركة الوطنية

أ- اتجاه المساواة: لقد مثل هذا الإتجاه الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر الجزائري، حيث كان الأمير خالد عنصرا نشيطا في حقل العمل الوطني المبكر مع نهاية الحرب العالمية الأولى بحيث تصدر مسرح المطالب السياسية الجزائرية لمدة تتجاوز أربع سنوات (1919 - 1923) وبذل مجهودات كبيرة مع مجموعة من إخوانه الجزائريين وذلك من أجل تحسين أوضاع الجزائريين بحيث كانت لمساهمات الأمير خالد أثرا بارزا ومفيدا لمسار النضال الوطني ككل وقد تجلت أهداف ومطالب هذا الاتجاه في:

-إلغاء القوانين والإجراءات الاستثنائية والعودة إلى القانون العام

- تمثيل المسلمين في الجمعية الوطنية الفرنسية بنسبة معادلة لنسبة تمثيل المستوطنين.

- إعلان عفو سياسي عام.

- حرية التعليم، وتطبيق قانون التعليم الإجباري .

-المساواة في تحمّل أعباء الخدمة العسكرية بين المسلمين والفرنسيين.

- حرية الصحافة والجمعيات والتجمع.

- تطبيق فصل الدين الإسلامي عن الدولة.

- تطبيق القوانين الاجتماعية وقوانين العمل على المسلمين .

- الحرية التامة للعمال الجزائريين المسلمين في الدخول إلى فرنسا

ب- الاتجاه الصلاحي: وقد مثل الاتجاه الإصلاحي في الجزائر "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" التي أسسها 72 عالماً جزائرياً من مختلف أنحاء البلاد في مقدمتهم الشيخ ابن باديس الذي تولى رئاسة الجمعية ونيابته الشيخ البشير الإبراهيمي، وقد اتخذت الجمعية شعاراً لها: "الجزائر وطننا - العربية لغتنا ـــ الإسلام ديننا"، وتشكل برنامجها من المحاور الاتية:

- تطهير الإسلام مما علق به من الشركيات والبدع والخرافات الموروثة عن عصر الانحطاط، التي كانت تُروّج لها الطرقية كالتبرك بأضرحة الأولياء والاعتقاد في قدراتهم، وادعاء قدسية شيوخ الطرق، والرقص والتهتك في الاحتفالات الدينية المبتدعة، واختراع أذكار محرفة وقربات مخالفة للكتاب والسنة، وما إلى ذلك من المنكرات.

- دعوة الجزائريين إلى العودة إلى الإسلام الصحيح المستمد القرآن الكريم والسنة المطهرة، من والتمسك به عقائد وشعائر وأخلاق وأحكام.

- محاربة المادية والإلحاد اللذين حظيا بتشجيع الاستعمار ليغالب بهما الإسلام.

– مقاومة الأمية، وتربية وتعليم الناشئة من خلال تأسيس المدارس العربية الحرة التي فاق مجموعها حسب الشيخ البشير الإبراهيمي: 140 مدرسة عام 1952، احتضنت نحو 50.000 تلميذ من البنين والبنات، وبلغ مجموع معلميها نحو 400 معلم، كانت الجمعية تنفق عليها 75 مليون فرنك سنوياً من أموال الأمة، ولم تستوعب مع ذلك إلا جزءاً من ثلاثين جزءاً من أطفال الجزائر.

– نشر الوعي الديني والاجتماعي والثقافة في أوساط الشبيبة والعمال وعامة الناس بواسطة الجرائد والمجلات، وتنشيط مئات الجمعيات العلمية والخيرية والدينية والرياضية، عشرات النوادي.

– محاربة الآفات الاجتماعية؛ كمعاقرة الخمور، وتعاطي المخدرات، ولعب القمار، واحتقار المرأة (كحرمانها من التعليم والميراث)، وغيرها.

– الاهتمام بالنصف المهمّل من المجتمع، وهنّ الإناث من خلال التوعية المسجدية، والتعليم الذي شمل في العام 1952 نحو 13,000 بنت في مدارس الجمعية.

– مقاومة المنصرين بتبيين المنافذ التي يتسرّبون منها إلى الأمة، والتصدي لهم بتقوية المعاني الدينية في النفوس، والقيام بحق الله في البؤساء واليتامى والمساكين على حد تعبير الشيخ البشير الإبراهيمي

– مقاومة سياسة التجنيس، حيث أصدرت فتاوى بتكفير كل جزائري أو تونسي أو مغربي عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامية من أجل الاندماج والتجنس بالجنسية الفرنسية، يتخلى واعتبارهم مرتدين عن الإسلام

3– الاتجاه الادماجي: مثلته جماعة النخبة الليبرالية وهيئة النوّاب، كان من أقطابه: ابن التهامي، ثم محمد صالح بن جلول وفرحات عباس في الثلاثينيات، وقد نفا كلاهما وجود وطنية جزائرية ولم يعترفا سوى بوجود وطنية فرنسية في رأيهما، وتمثلت مطالب هذا الاتجاه في :

– التمثيل النيابي للجزائريين في الجمعية الوطنية الفرنسية.

– المساواة في الأجور بين الجزائريين والأوروبيين.

– التسوية بين الجزائريين والأوروبيين في الخدمة العسكرية.

– إلغاء القيود المفروضة على هجرة الجزائريين إلى فرنسا.

– إلغاء قانون الأهالي

– تطوير تعليم الجزائريين العام وتعليمهم المهني .

– تطبيق القوانين الاجتماعية الفرنسية على الجزائريين.

وقد ظل هذا الاتجاه معزولا عن الجماهير لأنه لم يعبر عن همومها وتطلعاتها، وظل مذبذباً بين الجزائر وإسلامها، وبين فرنسا وحضارتها، بل إن أولئك الاندماجيين رفضوا خلال الثلاثينيات الماضية الاعتراف بوجود امة جزائرية أصلا.

4-الاتجاه الاستقلالي: مثل هذا الاتجاه في البداية خاصةً جماعة من العمال والجنود السابقين الذين كانوا يعيشون في فرنسا، وقد بادر هؤلاء المناضلون في 20 مارس 1926 بتأسيس "جمعية نجم شمال إفريقيا" بباريس رفقة عدد من التونسيين والمغاربة، وكان أبرز رجالها رئيسها مصالي الحاج(1898-1974) ، التالي الذي سيغدو قطب الحركة الاستقلالية في ثلاثينيات القرن العشرين وما بعدها، كان للجمعية في البداية هدفان هدف بعيد، هو تحقيق استقلال ووحدة أقطار المغرب العربي الثلاثة (تونس والجزائر والمغرب)؛ وهدف قريب هو الدفاع عن مصالح العمال المغاربة في فرنسا لكنها فقدت بمرور الزمن أعضاءها التونسيين والمغاربة لتصبح هيئة جزائرية خالصة، تمثلت أهدافها ومطالبها في:

- الإلغاء الفوري لجميع القوانين الاستثنائية.
- إعلان العفو العام عن كافة المعارضين والمعتقلين السياسيين الجزائريين .
- حرية الصحافة والتجمع والتنظيم
- إنشاء مجلس وطني جزائري منتخب.
- إنشاء مجالس بلدية منتخبة.
- حق الجزائريين في التعليم بجميع مراحله وإيجاد مدارس عربية.
- تطبيق جميع القوانين الاجتماعية الفرنسية على الجزائريين.
- الاستقلال الكامل للجزائر .
- جلاء القوات الفرنسية وإنشاء جيش وطني.
- إرجاع الأراضي والغابات التي استولت عليها الدولة الفرنسية إلى الجزائريين